

۱۰

ایستاد

زَنَنْتُ بِبَيْتِ خَزِيمَتِ

أَمُّ الْمَسْكِينِ

بقلم : د. وجیه یعقوب السید
بريشة : ا. عبد الشافی سید
إشراف : ا. حمدي مصطفى

كَلَامُ اللَّهِ الْوَاقِعُ الْمَلَكُ الْوَاقِعُ الْوَاقِعُ

كانت زينب بنت خزيمة زوجة للبطل الشهيد عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، الذي لقي ربه شهيداً في غزوة بدر ، وكان عبيدة ابن عم الرسول ﷺ .

كان عبيدة بن الحارث هو صاحب أول راية عقدتها رسول الله ﷺ ، حيث أرسله قائداً على ثمانين رجلاً من المهاجرين ، فلقى جمعا عظيما من قريش ، وعلى الرغم من أنه لم يحدث قتال بين المسلمين والكفار ، فقد أحس الكفار بالهيبة والخوف ، وأدركوا أن حربهم مع المسلمين قادمة لا محالة .

ومرت الأيام ، والتقى الجمعان في غزوة بدر ، وأثبت عبيدة بن الحارث أنه بطل فوق العادة ، لا يخاف الموت لحظة ، ولكنه يخاف ألا يكون هذا الموت في سبيل الله ..

فحين بدأت المعركة ، ظن الكفار أنهم سيبيدون المسلمين عن بكرة أبيهم بسبب قلة عددهم ، فراحوا يقولون في نشوة :

– اخرجوا إلينا نبارزكم ، ألم تزعموا أنه من يقتل
منكم يدخل الجنة ؟ فوالله إنا نود أن نلحقكم بها .
ووقف الوليد بن عتبة ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة



ابن ربيعة في مكان مميز ، وراحوا يشهرون سيوفهم في وجه المسلمين ويطلبون المبارزة في تحد سافر ، فتقدم منهم معوذ وعوف ابنا عقراء ، وكانا غلامين صغيرين وقالوا في ثبات :

- نحن نبارزكم ونقتلكم بإذن الله .
ونظر الكفار إليهم نظرة استكبار وسألوهم :
- من أنتم ؟

فقالوا :

- نحن رهط من الأنصار ، عاهدنا رسول الله ﷺ على أن تنصره على أعدائه ونفديه بأرواحنا وأموالنا .
فقال المشركون :

- نحن لا نريد أن تعيرنا العرب بقتل فتية مثلكم ،
ارجعوا وأرسلوا إلينا من هو كفاء لنا .
وصاح الوليد بن عتبة قائلاً :

- يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ،
وسترى لمن تكون الغلبة !



وَأَلْقَى الرَّسُولُ ﷺ نَظْرَةً عَلَى أَصْحَابِهِ لَكِي يَخْتَارَ
ثَلَاثَةً مِنَ الْأَبْطَالِ ثُمَّ قَالَ :

- قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ وَقُمْ يَا عَلِيٌّ .
وَانْطَلِقِ الْأَبْطَالُ الثَّلَاثَةُ فَبَارَزَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ
عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَبَارَزَ حَمْزَةُ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَبَارَزَ
عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ ، وَاسْتَطَاعَ
حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَقْتُلَا
مُبَارَزَيْهِمَا فِي سَهْوَةٍ وَيُسْرٍ ، أَمَّا عُبَيْدَةُ فَقَدْ كَانَ
مُبَارَزُهُ عُنِيدًا لِلْغَايَةِ ، فَلَمْ يَسْقُطْ عَلَى الْأَرْضِ
بِمُسَاعَدَةِ حَمْزَةَ وَعَلِيٍّ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ
تَوْجِيهِ ضَرْبَةٍ قَوِيَةٍ إِلَى عُبَيْدَةَ ابْنِ الْحَارِثِ جَعَلَتْهُ
عَاجِزًا عَنْ مُوَاصِلَةِ الْقِتَالِ .

وَاشْتَدَّ الْأَلَمُ بِعُبَيْدَةَ ، وَحَمَلَهُ الصَّحَابَةُ ، وَدَمَازُهُ
تَنْزِفٌ .. وَهُمْ يَقُولُونَ لَهُ :

- لَا تَجْزِعْ يَا عُبَيْدَةُ سَوْفَ تَتَوَقَّفُ هَذِهِ الدَّمَاءُ
الْغَزِيرَةُ وَتَعُودُ كَمَا كُنْتَ .

وَكَانَ عُبَيْدَةُ يَبْتَسِمُ بِرَغَمِ مَا بِهِ مِنْ أَلَمٍ وَيَقُولُ :

والله ما بى جزعٌ ، ولكنى أخشى ألا أكون فى
عداد الشهداء .

ودمعت عيناه فجأة فسأله أصحابه :

ما يبكيك يا عبيدة ، وقد وعدنا الله إحدى
الحسنين : فإما النصر وإما الشهادة ؟



فَقَالَ عبيدة :

- تذكّرتُ زوجتي زينب بنت خزيمة وما يصيبها بعد موتي ، فبكيت لأجلها ، فهي امرأةٌ ضعيفةٌ ، وقد أقعدها المرضُ .

فقال له الصحابة :

- هونْ على نفسك يا عبيدة ، فإن الله تعالى قد غرس الرحمة في نفوس المسلمين ، فلا يضيع بينهم ضعيفٌ أبداً .

وتوقف عبيدة عن بكائه ثم قال لأصحابه :

- احملوني إلى رسول الله ﷺ ، لألقى عليه نظرة الوداع الأخيرة ، وأسأله أن يدعو لي بالمغفرة .
وحمله الصحابة ، وجاءوا به رسول الله ﷺ ، وما إن رأى رسول الله ﷺ ، حتى تناسى كلَّ آلامه ، وأنزل الله عليه الصبر والسكينة .

كان كلُّ ما يشغل بال عبيدة بن الحارث هو أن يطمئن على زوجته ، وأن يتأكد أنه مات شهيداً ، فسأل رسول الله ﷺ :

- يا رسول الله ، هل أنا شهيد ؟

فقال له النبي ﷺ :

- أشهد أنك شهيد .

ونظر البطل إلى رسول الله ﷺ نظرة أخيرة ،

ونطق بالشهادتين ، ثم سكنت نفسه بعد أن صعدت

روحه الطاهرة إلى بارئها .



وعاشت زينب بنت خزيمة أرملة هذا الشهيد وحيدة يملأ قلبها الحزن ويعتصرها الألم ، ولم يخفف عنها سؤال بعض المسلمين عن أحوالها ومساعدتهم لها في قضاء حوائجها ، فإنه يمرور الوقت انشغل كل إنسان بنفسه ، وأصبحت زيارة الناس لها قليلة ، فكادت الوحدة تقتلها .

وإذا كان الناس بسبب مشاغلهم ينسى بعضهم بعضاً ، فإن الله (تعالى) لا ينسى أحداً من خلقه ، خاصة إذا كان في منزلة زينب بنت خزيمة ، حيث ضربت أروع مثل في الصبر والتحمل ، كما كانت جوادة كريمة تنفق على الفقراء والمساكين ، حتى أطلق عليها الناس لقب «أم المساكين» .

وأمر الله رسوله ﷺ أن يضم هذه المرأة المؤمنة الصابرة إلى نسائه ، تكريماً لها ومكافأة على صبرها وطيبة قلبها ، وبسبب حبها لله ورسوله وحبها للمساكين .

ولم تصدق زينب بنت خزيمة نفسها ، حين علمت

بهذا الخبر ، فقد خرجت من الوحدة والوحشة ،
إلى رحاب واسعة ، وصارت زوجة للرسول ﷺ ،
وأصبحت أمًا للمسلمين .

وعلى الرغم من أن السيدة زينب بنت خزيمة لم
تكن ذات جمال ، فإن الرسول ﷺ ضمها إلى نساؤه ،
ورفع بذلك مكانتها ومنزلتها ، وهذا دليل على



عظمة هذا الرسول ﷺ وإنسانيته ، حيث كان الدافع له في الزواج من زينب بنت خزيمة ، هو الشفقة عليها ، والخوف عليها من الضياع ، ورفع مكانتها بعد أن ضربت المثل في الصبر والوفاء ، ومن قبلها ضرب زوجها أروع مثل في البطولة والفداء .

وكان زواج الرسول ﷺ منها في السنة الرابعة للهجرة ، بعد زواجه ﷺ من حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهم .

وتحدث الناس بإعجاب عن رسول الله ﷺ وعن زواجه من السيدة زينب بنت خزيمة ، ووجدوا فيه دليلاً على شفقة الرسول ﷺ ورحمته .

وفي كتابات المستشرقين عن الرسول ﷺ ، إشارة إلى أن هذا الزواج الإنساني تم بدافع الشفقة . قال «بودلي» في كتابه «الرسول» :

«تبع زواج محمد ﷺ من حفصة زوجة آخر ، وكان زواجا شكلياً أكثر من أي شيء آخر . كانت العروس

أرملّة عبيدة بن الحارث ، ابن عم محمد ﷺ ،
استشهد في بدر . وكان اسمها زينب بنت خزيمة ،
وما ضمها محمد ﷺ إلى نسائه إلا بدافع الشفقة «
ولم يطل المقام بزینب بنت خزيمة في بيت الرسول
ﷺ ، فبعد بضعة أشهر ، انتقلت السيدة زينب بنت
خزيمة إلى جوار ربها ، وكان عمرها ثلاثين عاماً .



وعلى الرغم من قصر المدة التي قضتها في بيت النبوة ، فقد تركت أثراً طيباً عند عامة المسلمين ، فلا يذكرها أحدٌ إلا بكل خير ، وأجمعت كتب السيرة على أنها كانت كثيرة الصيام كثيرة القيام .

ففي سيرة ابن هشام :

« وكانت زينب بنت خزيمة تُسمَّى أم المساكين لرحمتها إياهم ورقتها عليهم » .

وعن الزهري :

« تزوج النبي ﷺ زينب بنت خزيمة ، وهي أم المساكين ، سميت بذلك لكثرة إطعامها المساكين . فقد أجمع الرواة على وصفها بالطيبة والكرم والعطف على الفقراء .

ولم تكن زينب بنت خزيمة ذات جمال وبهاء ، وإنما كان يكفيها أنها مؤمنة صادقة في إيمانها ، صوامة قوامة ، تنفق بالليل والنهار وتتصدق على الفقراء والمساكين والمحتاجين ، أنعم الله عليها بالفضل بالزواج من نبي الله ﷺ ، وصارت أما

للمسلمين ، وفي هذا ما يؤكد على عظمة أخلاق
النبي ﷺ .

لقد كان الرسول ﷺ مثالا لعظمة الأخلاق ومثالا
للرحمة والشفقة ، قال عنه (تعالى) :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
وقال عنه :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

مِثْلُ الدُّنْيَا يَتَّبِعُونَ أَمْرَ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
لِكُلِّ حِجَّةٍ أُنْبِيتُ سُبُلًا
وَلِكُلِّ سَبِيلَةٍ مَائَةٌ حِجَّةٍ
وَاللَّهُ يَخْشَعُ لِعِزِّهِ



ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴿١٢٨﴾ .

[التوبة : ١٢٨]

ولذلك فقد كانت أخلاقه ﷺ عظيمة ، ومواقفه نبيلة ، ورحمته بالمسلمين وبالناس جميعا واسعة لا حد لها ، ويكفي أن نتأمل في زواجه من زينب بنت خزيمة وسودة بنت زمعة وحفصة بنت عمر رضي الله عنهم ، لنعلم أنه ﷺ كان لا يسعى إلى حاجة معينة ، بقدر ما كان يحرص على الالتزام بوحى الله ، وتأليف قلوب أعدائه ، ورفع مكانة هؤلاء إلى مرتبة أمهات المؤمنين ، نظرا لما قمن به من تضحيات وأعمال عظيمة في سبيل الله ورسوله .

رحم الله زينب بنت خزيمة التي مرت في حياة النبي ﷺ مرورا سريعا ، وإن كان التاريخ قد خلد ذكرها فهي « أم المؤمنين » ، وأطلق عليها الناس لقب « أم المساكين » .
(تمت)

الكتاب القادم

أم سلمة (١) (بنت زاذ الركب)

رقم الإصدار = ٣٦٤٠ / ١ - ٢٠٠٠

الترقيم الدولي : ٨ - ٥٧٧ - ٣٦٩٩ - ٩٧٧